الإنسان وأزمة التعبير 1

أزمة التعبير وفلسفة التواصل

إن ما طرحته الفلسفات الأولى من قضايا وموضوعات تتعلق بفلسفة التواصل، لم يرتق إلى مصف الفلسفات المعاصرة في طرحها لمشكلة التعبير كخاصية إنسانية فريدة من نوعها، حيث انطلقت الدراسات والبحوث في أربعينيات القرن العشرين في الولايات المتحدة الأمريكية، وقد كان للرياضيات والفيزياء الفضل الكبير في مساهمتها الفعالة في مجال بلورة نظرية التواصل . والظاهر من خلال ذلك هو التمكن من الوصول إلى تحديد موضوعها، لكن بعد محاولات عديدة . إذ شكَّل التواصل اللساني فرعا من فروع نظرية التواصل هذه .

المعرفة التداولية والتنوع الثقافي

لقد انطلقت الفلسفة الوضعية المنطقية في حكمها على دلالة جملة معينة من خلال معيار الصدق و الكذب، وهذا ما جعل بالضرورة المعنى في العبارات اللغوية يؤطر على منوال الصيغ الخبرية والإنشائية، إذ أن صدقها و كذبها مستمد من مدى مطابقتها للواقع ، وهو ما أدى بالضرورة إلى ظهور التداولية . حيث انصرفت الأنظار صوب الاهتمام بفكرة أفعال الكلام أو أفعال اللغة . لأن الهدف الأسمى من الاستعمال اللغوي هو ليس إبراز منطوق لغوي فحسب ، بل يتعدى الأمر إلى أكثر من ذلك حيث ينصب حول انجاز حدث اجتماعي ، مجاله يتعدى حدود اللغة الجامدة بمفرداتها وإشاراتها، إلى ابتكار فعل اجتماعي تواصلي، يساهم بحد كبير في تنظيم حياة الجماعة . وهذا ما يوحي لنا بتلك النقلة النوعية التي حدثت في مجال فلسفة المعنى .

إن تحول فلسفة التواصل من مجال الحكم بالصدق والكذب إلى مجال القصد وتبادل المعلومات بواسطة آلية اللغة، هو ما دفع بالضرورة إلى ظهور التداولية ، أو ما يعرف في فلسفة اللغة باللسانيات التداولية، وساهمت في ذلك بانجاز لغة على مستوى الواقع كوسيلة للتعبير والتواصل . وهو ما طرح إشكالية العلاقة بين المعنى Meaning والفعل Action ، وأصبح من خلال ذلك معنى الكلمة أو العبارة يتحدد من خلال الأفعال التي تقف خلف الكلمة أو العبارة ، أما الكلمات الدالة على الأمر والنهي والاستفهام، فهي تتطلب قيام المتلقي بممارسة هذه الأفعال . لأن الفعل اللغوي يصحبه فعل اجتماعي أو ثقافي .

إن مفهوم الفعل الكلامي أصبح في نظر بعض الفلاسفة اللغويين نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية، حيث أن كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي وإنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك يعد نشاطا ماديا يريد تحقيق نشاطات في الواقع، ويأخذ الصبغة الاجتماعية والثقافية أو يصبح مؤسساتي بالدرجة الأولى .

أقسام الفعل الكلامي :

لقد قسم أوستن Austin الفعل الكلامي إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ فعل القول : وهو الفعل الذي يحمل في طياته الألفاظ والجمل المفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة .

2 ـ الفعل المتضمن في القول : وهو الفعل الإنجازي الحقيقي ، وهو العمل الذي ينجز بقول ما .

3 ـ الفعل الناتج عن القول : وهو الفعل المترتب عن مجموعة الأفكار المترتبة عن الفعل السابق .

خصائص الفعل الكلامي :

لقد حدد أوستن Austin ثلاث خصائص للفعل الكلامي وهي :

1 ـ أنه فعل دال

2 ـ إنه فعل إنجازي أي أنه ينجز الأفعال والأشياء الاجتماعية بالكلمات

3 ـ إنه فعل تأثيري أي أنه بترك آثار معينة في الواقع خاصة الأفعال الناجحة .

حقول التداولية :

الحقل الاول : وهو حقل النشأة التداولية التي تتعلق ببداية فلسفة التعبير، حيث يرتبط هذا الحقل بأفكار تشارلز مورس عن التداولية التي كان قد قدمها كمنهج في جعل الأفكار واضحة، حيث يقر في موقفه هذا أن مشكلة المعنى قديمة في الفلسفات التقليدية، معتبرا إياها على أنها علم يهتم بدراسة العلاقة بين العلامات وبين مستعمليها أو مفسريها سواء كان متكلم أو سامع أو قارئ او كاتب....إلخ . وتحديد ما يترتب عن هذه العلامات من حيث :

أ ـ البعد الدلالي الذي يتضمن علاقة العلامات بالبعد الدلالي المعبر عنها .

ب ـ البعد التداولي الذي يتضمن علاقة العلامات بالناطقين بها ، والمتلقي والظواهر .

ج ـ البعد التركيبي الذي يتضمن علاقة العلامات فيما بينها .

الحقل الثاني : وهو حقل موضوع التداولية ووظيفتها، إذ أن هذا المبحث يتعلق بلسانيات القرن العشرين، التي ساوت بين لسانيات اللغة ولسانيات الكلام . حيث تتفق على أن التداولية تهتم بجميع شروط الخطاب، والميزة الاساسية هي أنها تعتمد أسلوبا في فهمه وإدراكه بكيفية استخدام اللغة ، وبيان الأشكال اللسانية التي يتحدد معناها إلا بالاستعمال والفهم والشرح، حيث يشمل فعل التداولية مل يلي :

1 ـ البحوث اللسانية والمنطقية التي قدمت في دراسة استعمال اللغة ومطابقة التعبيرات الرمزية للسياق الوصفي الفعلي، والعلاقات بين المتخاطبين .

2 ـ دراسة استعمال اللغة في الخطاب والآثار التي تثبت ذلك .

3 ـ دراسة اللغة باعتبارها ظاهرة تواصلية، اجتماعية خطابية حجاجية .

شروط تداول المصطلحات :

1 ـ الضرورة الثقافية : وهي ضرورة تربط بين المصطلح اللغوي ودلالته الثقافية والاجتماعية .

2 ـ الحاجة الانسانية للتواصل : حيث أن التواصل اللساني يتم عبر ألفاظ و أفكار .

3 ـ اختيار الكلمات : والمقصود منها اختيار عبارات لها قدرتها الخاصة في التعبير على شكل قضايا ذات أهمية .

4 ـ التمثيل الخطابي للثقافة : إذ أن الرموز الثقافية لا تنفصل عن الخطابات، حيث تصاغ لغويا .